

المنهج التجريبي في البحوث الاجتماعية و الانسانية (الاسس النظرية و التقويم

المنهجي)

The experimental approach in social and human research

(theoretical foundations and methodical evaluation)

د. عاشوري صونيا

ط.د. حفصي سعاد

جامعة باجي مختار عنابة

جامعة باجي مختار عنابة

said41000@gmail.com

تاريخ القبول: 2020-05-19

تاريخ الإرسال: 2020-04-03

. ملخص: جاءت هذه المداخلة محاولة لتقديم قراءة نظرية تتمحور حول المنهج البحث التجريبي في البحوث الاجتماعية والانسانية، كونه يكتسي أهمية بالغة في تطوير هذا الميدان، لأن مهمة الباحث تتجاوز الوصف إلى معالجة متغيرات بحثه تحت شروط مضبوطة ليتحقق من كيفية حدوث الظاهرة، ولذلك المنهج التجريبي تعديل مقصود ومضبوط للظروف المحددة لحادثة من الحوادث الاجتماعية والانسانية وتفسير التغيرات التي تطرأ في هذه الحادثة نتيجة ذلك. ونظرا لحاجتنا لهذا النوع من البحوث كان من المهم أن نكون رؤية نظرية عن فلسفة وماهية المنهج التجريبي في ميدان يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية و الانسانية.

. الكلمات المفتاحية: المنهج التجريبي - العلوم الاجتماعية والانسانية.

Summary: *This intervention came in an attempt to provide a theoretical reading centered on the experimental research methodology in social and human research, as it is of great importance in the development of this field, because the task of the researcher beyond the description to address the variables of his research under controlled conditions to verify how the phenomenon occurs, and therefore the experimental method Intended and adjusted to the specific circumstances of an incident of social and Human to explain the changes that occur in this incident as a result. Given the need for this type of research it was important to be a theoretical vision of the philosophy and what is the experimental method in a field concerned with the study of social and human problems*

Key words: *Experimental Approach - Human and Social Sciences.*

. مقدمة:

إن المتتبع لتاريخ الانسان منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا هو التغير الكبير الذي حققته الانسانية في جميع المجالات: الطب، الفلك... إلخ و يعزى هذا التطور إلى العلم.

يشير مصطلح العلم إلى العديد من الصور المختلفة التي تتناول المعرفة الانسانية وكل معرفة تشكل جانب من جوانب العلم، فيبدو العلم كمجموعة من المعارف الثابتة نسبيا، والعلم اكتشاف يتيح لنا ربط الحقائق المعزولة بمفاهيم شاملة ومتناسكة.

والعلم وسيلة لمعرفة الكون و تفسير الظواهر الانسانية والاجتماعية وكيف كانت في الماضي وكيف ستكون في المستقبل، والمعرفة التي تتولد عن العلم يمكن استخدامها لتطوير تقنيات جديدة وعلاج أمراض والتعامل مع العديد من المشكلات الطبيعية والاجتماعية. والعلم مسعى انساني عالمي *The university of california* (museum,2003).

يعبر العلم عن المعرفة التي تطورت ولازالت تتطور منذ ظهور الانسانية، وهو المعرفة الموضوعية التي تستخدم الأدلة لتفسير الظواهر المختلفة. وتوليد معرفة تراكمية تساهم في التقدم وتحقيق الرفاهية والوصول إلى الحقيقة. (Pierre.C.Hohenbery ,2010,p20)

والبحث العلمي يجمع له حقائق و الدراسات وتستوفي فيه العناصر المادية و المعنوية حول موضوع معين في مجال من مجالات المعرفة، لفحصها وفق مناهج علمية و يتوصل الباحث من خلالها إلى نتائج علمية، و هذه النتائج هي ثمرة البحث والغاية التي ينشدها من وراء العملية العلمية والفكرية سواء كانت نظرية أو تجريبية، وهي ما يعبر عنها علميا بالاضافة الجديدة، والاضافة الجديدة في البحوث تتخذ صورا شتى فقد تكون أفكار جديدة في المجال العلمي كما تكون حلا لمشكلة علمية، أو بيان لغموض علمي إلى غير ذلك مما يتفق و مدلول كلمة البحث العلمي. (أبو سليمان عبد الوهاب ابراهيم، 2005، ص 26) ومن بين تلك الاضافة تميز الاشكال التالية:

***البحث العلمي بمعنى الكشف عن الحقائق:** دراسة يحاول من خلالها الباحث الكشف عن حقائق معينة دون محاولة الوصول إلى نتائج معينة بغية تعميمها واستخدامها في حل مشكلة ما.

***البحث العلمي بمعنى التفسير النقدي:** يعتمد الباحث على التدليل المنطقي و القدرة على الحل و الاستنباط للوصول إلى نتائج و حلول للمشكلات، ويستخدم هذا النوع من الدراسات عندما تتعلق المشكلة بالأفكار أكثر من ارتباطها بالحقائق، والمجال الاساسي لهذا النوع من الدراسات هو الأدب والتاريخ وكذلك الفلسفة.

***البحث الاساسي:** هو الذي يهدف إلى زيادة المعرفة و اكتشاف القوانين وإشباع الفضول الفردي و تعتبر العلوم الاساسية: الرياضيات، الفيزياء والكيمياء الركيزة الاساسية لمثل هذا النوع من البحوث، وعادة ما يقام في الجامعات والمخابر العلمية.

***البحث التطبيقي:** يهدف إلى إيجاد حلول و تكون هذه المشكلة في الميدان الصناعي والاقتصادي، وتم عادة في قسم البحث والتطوير التابع للشركات الكبرى على وجه الخصوص.

***بحوث الابتكار:** وهي التي تهدف إلى الابتكار والاختراع و التجديد، وبمجالها العلوم الهندسية، الطب والزراعة. (اسماعيل محمد صادق، 2014، ص 35)

والمعرفة الاجتماعية شكلا من اشكال المعرفة الانسانية وتندرج ضمن واحدة أو أكثر من انواع البحث العلمي حيث ساهم علماء الاجتماع منذ ظهور ونشأة هذا المبحث العلمي إلى تطوير المعرفة الاجتماعية من خلال التحقيق المنهجي في واحدة أو أكثر من الاسئلة التالية:

***الاسئلة الوصفية (Descriptive):** هي أكثر انواع البدائل التي يسعى علماء الاجتماع للاجابة عليها، تتضمن هذه الاسئلة حول متغير أو ظاهرة اجتماعية لابد من وصف جوانبها.

***الاسئلة العلائقية (Relational):** الاسئلة العلائقية هي أكثر انواع الاسئلة شيوعا في ميدان العلوم الاجتماعية تنطوي على معظم الافتراضات الاساسية التي بحث عنها علماء الاجتماع مثل ما إذا كانت هناك علاقة بين ظاهرتين أو أكثر وتحديد نوع تلك العلاقة.

***الاسئلة السببية (Causal):** الاسئلة السببية معنية بما إذا كان أو كيف يؤثر واحد أو أكثر من المتغيرات على أحد أو أكثر من المتغيرات التابعة، والاسئلة السببية هي تلك التي يستشيرها

الباحث الاجتماعي حول ما إذا كان من الممكن تحديد النتائج التي تعزى لتأثير متغير مستقل على متغير تجريبي، ويسعى من خلالها علماء الاجتماع إلى تحديد الآليات التي من خلالها

تتحقق العلاقة السببية (*What is social research*)

وعادة ما يستخدم علماء الاجتماع المنهج التجريبي في الدراسات السببية حيث أن المنهج

التجريبي دراسة تستلزم بدقة تصميم البحث العلمي إذا يتيح للباحث الفرصة السيطرة على الظروف المحيطة بالتجربة، ويقوم الباحث بجمع البيانات واختبار صحة الفرضيات والنتائج إما

تؤكد صحة الفرضية أو دحضها ونفيها. (Bara.J.Harland)

المنهج التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية طريقة منظمة هي سلسلة العمليات التي يتعين القيام بها وتجنب الاخطاء من اجل اختبار صحة الفرضية ويتطلب الامر صياغة فرضيات والتحقق منها على ارض الواقع. (Bensaad bourassia ,S.D ,06)

والبحث التجريبي مجموعة من الاجراءات العلمية المنظمة التي تهدف إلى التسبب في الظاهرة أو بعض جوانبها بهدف دراسة سيرها وخصائصها و محدوداتها و آثارها عن طريق اختبار الفرضيات المستنبطة من الاطر النظرية أو من الاستدلال من الملاحظات الميدانية، ويسمح التجريب بفهم افضل للعوامل التي تتحكم في الظواهر. (Courbet didier,2013,p18)

لذلك يعتبر البحث التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية اكثر انواع البحوث دقة لأن مهمة الباحث تتعدى الوصف أو تحديد حالة وتتعدى مهمة الباحث التجريبي إلى معالجة عوامل بحثه تحت ظروف مضبوطة، من أجل هذا يعرف البحث التجريبي على أنه تعديل مقصود ومضبوط للظروف المحددة لحادثة من الحوادث وتفسير التغيرات التي تطرأ على هذه الحادثة نتيجة ذلك. (رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 109)

فالمنهج التجريبي بهذا المعنى يشمل على استقصاء العلاقات السببية بين المتغيرات المسؤولة على تشكيل الظاهرة أو الحدث و يقوم الباحث بتكرار التجربة التي يجربها مرات عدة وفي كل مرة يركز على دراسة و ملاحظة اثر العامل متغير و يفترض ثبات العوامل الاخرى وافترض ثبات العوامل الاخرى. (ربحي مصطفى عليان، 2001، ص 55)

لذلك التجربة في البحث التجريبي لا تتم ملاحظتها فقط بل انشائها وكذلك الملاحظة ليست شيئاً عفويًا فهي عملية يجب على الباحث أن يطورها بنفسه و يتحكم فيها، الامر الذي جعل الباحثين يعطون الاهمية البالغة للملاحظة العلمية في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية.

(Jean-Louis loubet del bayl,2000,p38)

ويلعب التصميم دورا اساسيا في نجاح البحوث التجريبية خاصة إذا تعلق الامر بدراسة الظواهر الاجتماعية سواء كانت الدراسة قائمة على الملاحظة والتجربة أو تعتمد على مقاييس واحيانا وسائل اكثر تعقيدا مثل استخدام اجهزة التسجيل.

(Philip cash,Steve cullry, 2005, p20)

ولاتزال العديد من الظواهر الاجتماعية تحتاج للبحث التجريبي حتى تفهم متغيراتها وبذلك نحن بحاجة للتعرف على خصوصية المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية والانسانية وتقويمه لذلك انطلقا مما سبق سنتناول في هذه الروقة ما يلي:

اولا: الاجراءات المنهجية في البحوث التجريبية.

ثانيا: طبيعة وخصائص البحث التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية.

ثالثا: تقويم المنهج التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية.

اولا: الاجراءات المنهجية في البحوث التجريبية:

لا يمكن اغفال اهمية البحث التجريبي في العلوم الاجتماعية حيث يجب من خلاله على الاسئلة التي تتمحور حول الظواهر الاجتماعية و علاقتها ببعضها البعض أو ببعض المتغيرات الاخرى.

1/ مصطلحات البحث التجريبي:

***التجربة (Scientific experiment)**: يعرف "**Berevidge**" التجربة بأنها ملاحظة مضبوطة يقوم بها الباحث لاختبار الفرض والحصول على السببية المرضية، والتجربة هي سؤال يوجه إلى الواقع أو هي حوار بين الباحث والواقع، يعمل الباحث على تنظيم الملاحظات والمشاهدات عبر ظروف موضوعية دقيقة، ومحددة، فالتجربة أداة لصنع ملاحظات مضبوطة للكشف عن ظاهرة ما أو تفسيرها اي تفسير العلاقة السبب والنتيجة (بين المتغير التابع والمتغير المستقل) وهي تجربة مضبوطة **Contrôle experiment** وليست عارضة إذ أن شرط التجريب هو التحكم والضبط.

والتجريب هو ملاحظة تحت ظروف مضبوطة و محكمة ويحدث ذلك عندما نقوم

باختيار بعض الحالات أو تطويع بعض الظروف. (رجاء و حيد دويدري، 2000، ص 225)

***المتغير المستقل (Independent variable)**: وهو ذلك النوع من المتغيرات التي تحدث آثارها على مجموعة من العناصر الاخرى سلبا أو ايجابا، والمتغير المستقل هو المتغير التجريبي الذي يقوم الباحث بإدخاله على مجتمع البحث أو على التجربة العلمية محاولا قياس اثره على المتغيرات الاخرى أو على الظاهرة محل البحث والدراسة ويسمى المتغير أو العامل التجريبي.

(محمد عبد الغني عوض، محسن احمد الخضيرى، 1996، ص 61)

***المتغير التابع (dependent variable):** هي المتغيرات التي تتأثر بالمتغير التجريبي سلبا وإيجابا، وزيادة ونقصانا، فهو مرتبط بالمتغير المستقل، فأى تغيير يطرأ على المتغير المستقل يحدث تغيير على المتغير التابع، ويسمى كذلك بالمتغير الناتج أو العامل الناتج عن تأثير العامل المستقل. (محمد عبد الغني عوض، محسن احمد الخضيري، 1996، ص 61)

***المتغير الدخيل (Confounding variable):** هو المتغير الذي يتدخل مع المتغير المستقل وفي هذه الحالة يصعب علينا معرفة المتغير الذي تسبب في نتيجة الاختلاف، فالمتغيرات الدخيلة هي متغيرات شبيهة بالمتغيرات المستقلة من حيث أنها تؤثر على المتغيرات التابعة أو الظاهرة التي يقوم الباحث بتناولها، ولكنها ليست موضع اهتمام من قبل الباحث في الدراسة التي يقوم بها، وتكون موضع اهتمام في دراسة أخرى، ثم طور الباحثون عددا من الإجراءات التي يمكن من خلالها العمل على ضبط المتغيرات الدخيلة والتي تتمثل في التخصيص والاختيار العشوائي والمزاوجة وإدخال العوامل في التصميم، وحتى يتحقق الصدق لابد على الباحث أن يصمم تجربته بحيث يكون المتغير المستقل هو الذي يسبب في ما يحدث على المتغير التابع.

(منذر الضامن، 2006، ص 147)

***المجموعة التجريبية (Experimental group):** وهي المجموعة التي تتعرض للمتغير التجريبي لمعرفة تأثير هذا المتغير فيها.

***المجموعة الضابطة (Controlled group):** وهي المجموعة التي لا تتعرض للمتغير التجريبي، وتبقى تحت ظروف عادية، وتكون الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة ناتجة عن المتغير التجريبي الذي تعرضت له المجموعة التجريبية، فهي اساس والمعرفة والنتيجة.

(رجاء وحيد دويدري، 2000، ص 226)

2/ اسس المنهج التجريبي:

يقوم المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة والمضبوطة وفق خطة واضحة تقوم على تحديد المتغيرات التابعة والمستقلة ولكي يتحقق ذلك لابد من مراعاة مجموعة من الأسس عند تطبيق المنهج التجريبي:

***تحديد و تعريف لجميع المتغيرات التي تؤثر في المتغير التابع بهدف التأكد أن العامل المستقل هو المسؤول عن التغير بهدف معرفة أن العامل المستقل هو المتغير المسؤول عن الناتج الذي تم التوصل إليه، وهي خطوة مهمة وضرورية و موضوعية وأهم العوامل التي يمكن ضبطها هي**

العوامل التي ترتبط بالفوارق بين الأفراد وتلك التي تعود إلى اجراءات التجريب والعوامل التي تعود إلى اجراءات التجريب والتي تعود إلى مؤثرات خارجية وتكرار التجربة ما امكن للتأكد من صحة النتائج. (ريحي مصطفى عليان، د.ت، ص 59)

*يتأسس البحث التجريبي على التصور الدقيق في صياغة الفروض ولذلك يقوم بالتجريب على أساس المحاولة والخطأ وبالتالي لا يصل إلى تفسيرات سببية لنتائج خاصة في البحوث الانسانية والاجتماعية والبحث التجريبي يتطلب أن يكون هناك تصور واضح للفروض والنتائج المستنبطة وهذا يتطلب تحديد عاملين هما:

المتغير المستقل – المتغير التابع.

فالفرض يقترح أن شرطاً ما (متغير مستقل) يؤدي إلى حدوث شرط اخر متغير تابع فنقول أن:

الشرط (A) سبب في حدوث تغير للشرط (B) ونعني بالشرط A المتغير المستقل والشرط B المتغير التابع.

ولإختبار صدق نتيجة مستنبطة من فرض ما يعمم الباحث التجربة ويحاول ضبط الشروط كافة فيما عدا المتغير المستقل الذي يطلق ليلاحظ ما يحدث للمتغير التابع كنتيجة لتأثير المتغير المستقل، والمتغير التابع هو الظاهرة التي توجد أو تختفي أو تتغير حينما يطلق الباحث المتغير المستقل او يبعده أو يغيره أو يحدث تعديل عليه.

(رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 112-113)

والتجريب ليس مجرد احداث تغيير على احد المتغيرات لمعرفة تأثير ذلك على المتغير الأخر وإنما يعتمد على الملاحظة المضبوطة، ولا بد من ضبط جميع العوامل المؤثرة في المتغير التابع وأن عدم ضبط العوامل يؤدي إلى عدم التأكد من أن المتغير المستقل أو اي عامل اخر هو المسؤول عن حدوث التغيير الذي حصل للمتغير التابع ولا بد من دراية نظرية مسبقة بالمتغيرات وضبط محكم للفرضيات وهو امر بالغ الأهمية. (رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 115)

3/ التصميم التجريبي:

*تجربة المجموعة الواحدة: يركز هذا الاسلوب على تأثير عامل واحد على اداء المجموعة موضوع الاهتمام وقياس التأثير قبل وبعد التجربة. (تجربة المجموعة القبلو بعدية).

***التجربة على مجموعتين:** بحسب هذا النوع من التجارب يتم التعامل مع مجموعتين متشابهتين وفي الوقت نفسه يقوم الباحث بعرض العامل التجريبي على مجموعة واحدة المجموعة المفحوصة مع تجاهل عرضه على المجموعة الضابطة بعدها تتم مقارنة المجموعتين بهدف معرفة التغيير الذي حدث.

المشكلة في هذا النوع من التجريب انه نادرا ما توجد مجموعتان متجانستان الأمر الذي يقلل من امكانية التعميم.

***التجربة على مجموعات عدة:** يركز هذا النوع من التجريب على استخدام اكثر من مجموعة بالتناوب والشرط الأساسي لهذا النوع من التجارب هو وجود مجموعات متجانسة، وذلك من أجل تطبيق العامل التجريبي على كل مجموعة بالتناوب، بحيث تصبح كل واحدة في المرة الأولى مجموعة تجريبية و في الثانية ضابطة وتجدد الإشارة هنا إلى ضرورة توافر مجموعات متماثلة ومتجانسة قدر الامكان وهذا من الصعب تحقيقه في الكثير من المواقف.

(محمد عبيدات، محمد أبو نصار، عقلة مبيضين، 1999، ص 57)

يعد تصميم التجربة من أهم خطوات البحث التجريبي والتي يتوقف عليها صحة ودقة النتائج ومن المتفق عليه أن سلامة التصميم التجريبي لها جانبان احدهما داخلي والآخر خارجي:
أ) السلامة الداخلية للتصميم: تتحقق السلامة الداخلية لتصميم عند التأكد من أن العوامل الداخلية قد تم السيطرة عليها في التجربة ومن هذه العوامل ظروف التجربة الحوادث المصاحبة لها، اجراءات التجربة وأدوات القياس.

ب) السلامة الخارجية للتصميم: السلامة الداخلية ليست فقط العناصر التي تتم مراعاتها في التصميم التجريبي ولكن كذلك يجب مراعاة السلامة الخارجية المتعلقة بمدى تمثيل مواد التجربة وافرادها للمجتمع الكبير الذي ينتمون إليه. (رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 117)

فالتصميم التجريبي للباحث كالرسم الهندسي المعماري، فإذا جاء هذا التصميم مبهما أو غير دقيق جاءت نتيجة البحث ضعيفة القيمة، والتصميم التجريبي الدقيق يمكن الاعتماد عليه في الاجابة على تساؤلات البحث واختبار فرضياته، فالتصميم يقترح على الباحث الاجراءات والملاحظات التي ينبغي أن يقوم بها والأسلوب الذي يتوجب اتباعه، وادوات القياس

المناسبة ولا يوجد نموذج محدد لتصميم التجريبي يصلح لكل بحث فطبيعة المشكلة التي يتخذها الباحث موضوعا للتجربة والعينة هي التي تحدد نوع التصميم.

(رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 118)

4/ انواع التجارب:

***التجربة في المعمل:** اكتشف العلماء التجربة في المعمل منذ زمن طويل كون المعمل ظرف مثالي للبحث التجريبي ويعود ذلك إلى كونه مكان معزول عن التأثيرات الخارجية فقط، وعادة ما يتم تجهيز المعمل بأجهزة بالغة الكفاءة والدقة، غير أن البعض الأخر انجز تحارب ناجحة بوسائل بسيطة.

***التجارب مع الناس:** من العصب اخضاع البشر للتجريب، ومن ثمة كان من اللازم تدبير أساليب غير معملية لخدمة اغراض التجريب مع الناس مثل تلك التجارب اثر تركيب الفليور في منع تسوس الاسنان عند اضافتها لتركيب الشرب، وقد قام الباحثون في هذه التجربة بحفظ سجلات دقيقة لمدة ست سنوات لبيان كمية التسوس في الاسنان.

ثم حاول العلماء اجراء التجارب على الحيوان نظرا لصعوبة اجرائها على الانسان، ومن أمثلة هذه التجارب ما قام به "*Thorndike*" من تجارب لإكتشاف كيفية التعلم و وضع ما يعرف بقوانين التعلم *Laws of learning* كما قام "*Pavlov*" بدراسة عملية هضم الكلاب وطبق النتائج التي توصل إليها على الانسان. (احمد بدر، د.ت، ص 264-265)

والملاحظ أن كل تصميم تجريبي يصلح لنوع من الدراسات لا يصلح لنوع اخر ولكن يمكن للباحث أن يقلل من قصور كل تصميم و ذلك بضبط العوامل والمؤثرات الاخرى عدا العامل التجريبي وأن يكون دقيقا في تسجيل التغيرات والآثار التي تحدث نتيجة استخدام المتغير التجريبي وأن يكون قادرا على تسجيل التغيرات وتقديرها كميا، و التمييز بين المتغيرات السلوكية الناتجة عن المتغير التجريبي أو عن عوامل اخرى، ونخص بالذكر التحيز لمتغير دون عامل آخر.

(رجاء وحيد دردري، 2000، ص 238)

* و التصميم التجريبي يشتمل على المراحل التالية:

(1) - الظاهرة موضوع الدراسة.

(2) - العامل المراد معرفة تأثيره في الظاهرة.

(3) - العوامل المتداخلة.

* ويتم البحث التجريبي على ثلاث مراحل:

(1) - تحديد المشكلة.

(2) - وضع الفرضية.

(3) - اختبار الفرضية (البرهان) يتم بعدها ربط الفرضيات الصحيحة بعد اختبارها وإثبات صحتها بالمبادئ العامة.

(4) - النظرية: تبدأ بملاحظة المشكلة أو الظاهرة موضوع الاهتمام والتعرف على أبعادها على شكل فرضيات قابلة، مبنية على اسس نظرية قوية، ومن ثمة وضع تصميم للتجربة، أي كيفية اختبار الفرضية و البرهان عليها، واختيار عينة ممثلة للمجتمع، ومن ثمة تصنيف مفردات العينة وتقسيمها إلى مجموعتين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية.

(رجاء وحيد دريدري، 2000، ص 241)

فالبحت التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية عملية ممنهجة تخضع لضوابط واسس عملية محددة تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة وهو الهدف الاساسي للعلم.

ثانيا: طبيعة و خصائص البحث التجريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية.

الظاهرة الانسانية والاجتماعية هي ظاهرة تتعلق بالانسان في ماضية وحاضرة وحتى مستقبله لذلك دراسة الانسان دراسة علمية وعلى وجه التحديد تختلف عن دراسة الظواهر الطبيعية والفيزيائية.

من خصائص البحث التجريبي أنه يتعدى وصف الظواهر كما في البحوث الوصفية وإنما يدرس متغيرات الظاهرة ويحدث في بعضها تغيير مقصود ويتحكم في متغيرات اخرى ليتوصل إلى العلاقة السببية بين هذه المتغيرات وبين متغيرات ثالثة في الظاهرة.

ويتلخص البحث التجريبي في الآتي: إذا كان هناك موقفان متشابهان تماما من جميع النواحي ثم أدخل متغير اخر إلى احد الموقفين دون اخر فإن اي اختلاف يظهر بعد ذلك بين الموقفين يعزى ويرجع إلى ذلك العنصر أو المتغير المضاف، وكذلك في حالة تشابه الموقفين وحذف عنصر معين من احدهما دون الاخر، فإن اي اختلاف يظهر بين الموقفين يعزى إلى غياب هذا العنصر، ويسمى المتغير الذي يتحكم فيه الباحث عن قصد في التجربة بطريقة معينة ومنظمة بالمتغير المستقل أو المتغير التجريبي أما السلوك الذي يتأثر بالمتغير المستقل فيسمى

بالتغير التابع، والتجربة في ابسط صورها تتضمن متغيرا تجريبيا ومتغيرا تابعا كما يمكن أن تشمل التجربة على اكثر من متغير تابع ومتغير مستقل. (رحيم يونس كرو الغزاوي، 2008، ص 112) والملاحظ أن استخدام التجارب في العلوم الطبيعية قد لقي نجاحا، لكنه في العلوم الانسانية والاجتماعية لم يلق إلا أهمية جزئية نظرا لإختلاف طبيعة المادة في كليهما لذلك طورت اساليب اخرى بديلة أطلق عليها اسم التجربة الغير مباشرة أو التحليل الاستقصائي *Survery analysis* وقد دعا "اميل دوركايم" إلى استخدام طريقة المقارنة و أكد على

امكانية استخدام المنهج التجريبي و ذلك للأسباب التالية:

*محاولة التحكم في جميع المتغيرات باستثناء عامل أو متغير واحد حيث يقوم الباحث بتغييره بهدف قياس وتحديد تأثيره في العملية.

*أحداث تغيير مضبوط للشروط المحددة للواقع أو الظاهرة التي تكون موضوعا للدراسة وملاحظة ما ينتج عن هذا التغير من آثار في هذا الواقع و الظاهرة.

*والملاحظة تتم تحت ظروف مضبوطة لإثبات الفروض، ومعرفة العلاقة السببية، ويقصد بالملاحظة المضبوطة ادخال المتغير التجريبي و ضبط تأثير المتغيرات الأخرى.

*لذلك يتميز المنهج التجريبي بثلاث خصائص:

- التشخيص المادي أو الوضعية *Positivism*

- الاختبارية *Expericism*

- الموضوعية *Objectivity*

أول من وضع هذه السمات هو الباحث عبد الرحمان ابن خلدون، فقد كانت مادة بحثه دائما هي الكائنات الاجتماعية والتشخيص المادي عند ابن خلدون هو الوضعية عند اوغست كونت، وفي رأيه أن الحياة الاجتماعية تخضع لقوانين عامة، ولا تسير وفق عامل الصدفة، شأنها في ذلك شأن الظاهرة الطبيعية.

أما الاختبارية هي الملاحظة والخبرة الشخصية بالأمر أي الخبرة التجريبية، بما هو حادث في حاضر الباحث أو بما كان حادث في ماضيه، والمعرفة الاختبارية أو الحسية تقوم على معايشة الوقائع المتشخصة بمادتها، اي ذات الوجود الكياني والعياني، والوقائع الاختبارية وقائع

مشاهدة، اي ملاحظة حسية، وتكون المادة الأصلية للعلوم الخاضعة للتجارب، والتي يفرق فيها العالم بين الواقع و تأويله والمشاهد المستنتج منها، فالاساس الواقعي محتوم.

والسمة الثالثة هي الموضوعية وترتبط بالوضعية والاختبارية، وهي سمة الباحث لأية ظاهرة بوصفها شيئاً خارجاً عن شعور الفرد، اي لا يتأثر الباحث بأية أفكار سابقة تجعله ينظر إلى الظاهرة من وجهة نظره هو فيكون الباحث علمياً بالمعنى الدقيق. وهذا ما استخدمه ابن خلدون حيث استخدم المنهج التاريخي وركزته الطريقة التاريخية كما استعان بالملاحظة الحسية.

(رجاء وحيد دريدري، 2000، ص 231-232)

فلسفة المنهج التحريبي في العلوم الانسانية والاجتماعية تهدف إلى التعرف على الظواهر الانسانية والاجتماعية وعللها وتأثيراتها، وتحديد مقاييسها والتحكم فيها، وهي تختلف عم فلسفة التحريب في العلوم الطبيعية، التي تهدف إلى تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان، ومن هنا تتضح فلسفة التحريب في العلوم الانسانية والاجتماعية، بأن يواكب الانسان ونظمه الاكتشاف العلمي وأن يحقق الرفاهية الاجتماعية.

وبما أن التحريب حسب ما قاله "عبد الباسط محمد حسن" يبدأ بملاحظة الوقائع الخارجية عن العقل إذا هل كل ما يستنتجه العقل خارج عنه يعد صواباً؟ هذا سؤال احتمالي وفلسفي وتكون الاجابة عليه بكلمة واحدة " قد" لأنه من الصعب التصديق والتسليم بأن كل ما يستنتجه العقل خارج العقل هو صواب، وهنا تكمن فلسفة البحث، وهي التعرف بالعقل على الخارج عنه والخارج منه، وذلك بعد اخضاعه للقياس الكمي والكيفي، وتعرضه للنقد الداخلي والخارجي، وللطبيعة الفضل على العقل كونها الميدان الواسع للتحريب فلولا الطبيعة ما كان للعلم من تجريب ولولا العقل ما كان للطبيعة من قيمة، وعليه لولا الطبيعة ما بحثا ولولا البحث ما تقدمنا، ولولا الاكتشاف ما تقدمنا اي أن فلسفة البحث لم تكن اكتشاف الطبيعة لأن الطبيعة مكتشفة اصلاً ماثلة أمام الناظرين، فدور العقل هو التعرف عليها وعلى ما يستفاد منها، و التعرف على الاسس المنتظمة عليها لإستنباط أهمية النظم في العلاقات الانسانية والاجتماعية، ومن هنا تتضح، والغرض من البحث هو الذي يحدد فلسفته وأهميته، لأن البحث العلمي هو الذي يتضمن فلسفة تظهر أهمية الموضوع، وحسب المنهج التحريبي نتساءل لماذا ننطلق من فرضيات ولماذا نحدد أهداف. (عقيل حسين عقيل، 1999، ص 115-116)

والهدف من البحث التجريبي في العلوم الانسانية و الاجتماعية هو المجتمع، و الحياة الاجتماعية مملوءة بالتجارب: كالطلاق، الترمل، العزوبية، وكل حياة انسانية مليئة بالتجارب القديمة و الجديدة، وهي اكثر شمولية من التجربة في العلوم الطبيعية، والتجربة الاجتماعية يمكن ملاحظتها، ومعرفة عللها وخطواتها ونتائجها، وهي كثيرا لا تكون مصطنعة بل تمارس وفق معطياتها وظروفها وتؤكد بقيمتها، مثل الحياة العربية بعد الإسلام بحدوث متغير الدين، فكانت الحياة الاجتماعية السابقة تختلف عن التجربة القديمة، إلا أن ما ينتجه العقل الانساني يمكن أن يكون تجربة، وبذلك فالحياة الاجتماعية هي التجربة التي تفوق اي تجربة في العلوم الطبيعية.

(عقيل حسين عقيل، 1999، ص 113)

إذا التجريب في العلوم الانسانية والاجتماعية له طبيعة خاصة خصوصية موضوع الدراسة إلا وهو الانسان و المجتمع.

ثالثا: تقويم المنهج التجريبي في العلوم الانسانية و الاجتماعية:

استخدم المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية وحققت بواسطته تقدما سريعا مما دفع العاملين في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية إلى استخدام المنهج التجريبي في البحث وقد دخل المنهج التجريبي ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية ويسمح هذا المنهج للباحث بـ:
* يستطيع الباحث أن يكرر التجربة لأكثر من مرة وبذلك يتأكد من صحة النتائج.
* يستطيع الباحث أن يتحكم في العوامل المؤثرة و ضبطها مما يعطي الفرصة للعامل التجريبي في التأثير على المتغيرات التابعة.

* يقوم هذا المنهج على الدقة في اختيار شرعية الفرضية التي تم وضعها، وعلى الباحث إبداء ملاحظته العلمية الدقيقة عند مقارنة مضمون الفرضيات التي وضعها و الوقائع التي توصل إليها بأسلوب تحليلي منطقي واقعي.

* يتميز هذا المنهج عن غيره من المناهج بكونه يسعى للكشف عن العلاقة السببية بين العوامل المؤثرة والظاهرة محل الاهتمام. (رجاء وحيد دريدري، 2000، ص 252)

بالمقابل حدد الباحثون في العلوم الانسانية والاجتماعية النقائص التالية للمنهج

التجريبي:

* النتائج المتوصل إليها من خلال استخدام المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية يصعب تكرارها بنفس الدرجة من الدقة مثلما يحدث في العلوم التجريبية.

*من الصعب اخضاع الانسان إلى التجريب المختبري نظرا لكون العملية غير اخلاقية. عدم توفر الأجهزة والأدوات الدقيقة التي تمكن من قياس اثر المتغير التجريبي بين المجموعات التجريبية و الضابطة، وما هو مستعمل الآن في قياسات العلوم الانسانية والاجتماعية يتأثر سلبا ويجابا باستجابات المبحوث التي قد تتغير من وقت لآخر في حالة تكرار التجريب. *الاعتماد على الملاحظة في العلوم الانسانية والاجتماعية لم يكن ناجحا دائما في كل الحالات، لأن المشاعر والانفعالات من الصعب قياسها، وبما أن الانسان متكون من كل هذه المتغيرات وأكثر وهي صعبة القياس وتحتاج إلى وسائل قياس خاصة للملاحظة المباشرة من الصعب نجحها.

*تفاعل الافراد واستجاباتهم تتأثر بحسب مبدأ الفروقات الفردية والخلفية الثقافية والاجتماعية أو العاطفية للفرد والمجتمع.

*أخطاء التحيز: والتي تحدث نتيجة غياب الموضوعية بسبب تأثر الباحث تجاه الأفراد والجماعات إلى جانب اخطاء تحيز المبحوثين أنفسهم، وكلما تصنع المبحوثون كلما كانت التجربة متصنعة ونتائجها غير مصداقية.

*الظاهرة المدروسة في العلوم الانسانية والاجتماعية تحتاج إلى تفسير، ومن الصعب أن يتجرد الانسان من ذاته تماما أو من انتمائه الاجتماعي والفكري، و الديني، ولذلك يجتمل أن بتأثر الموضوع بتفسير الباحث وحتى وإن اعتمد على المشاهدة والملاحظة والمقابلة في جمع المعلومات فإن تفسيره لها قد لا يكون معبرا تماما عن مصداقية المبحوث خاصة إذا فطن المبحوث أنه تحت الملاحظة، مما يجعله متصنع السلوك. (عقيل حسن عقيل، 1999، ص 131)

*يمكن أن تقل مصداقية البحث التجريبي وذلك بسبب آثار الممارسة الغير واعية، ومن العسير اكتشاف هذه المخاطر فكثيرا ما يتعلم المفحوص مهارات خاصة وهذا ما يطلق عليه في البحث أثر الممارسة، نتيجة تعرضه للعامل التجريبي، والعامل التجريبي ذاته يكون له أثر في تغيير سلوك المفحوص بناء على الممارسة ويجب على الباحث ملاحظة هذه الأخطاء.

*إن استخدام عدد قليل من المبحوثين في التجربة التي تتناول جماعة معينة، ولا بد من مراعاة المبادئ العلمية الخاصة باختيار العينة. (احمد بدر، د.ت، ص 180-181)

. خاتمة:

من خلال سبق ذكره يمكن القول أن المنهج التجريبي من اهم المناهج المستخدمة في البحوث الانسانية و الاجتماعية وهو منهج يتميز بالدقة و الضبط، غير أن تطبيقه في هذا الميدان يختلف عن تطبيقه في ميدان العلوم الطبيعة نظرا لخصائص الظاهرة الانسانية التي تتميز بتداخل عوامل يصعب ضبطها مثل الانفعالات، مع ذلك نجد أن الاستخدام الصحيح للمنهج التجريبي والالتزام بقواعده في البحوث التي تهتم بالانسان كظاهرة اجتماعية، تاريخية وحتى نفسية يقدم حقائق ومعارف مهمة و يزيد من معرفة الطبيعة الانسانية وايجاد حلول للمشكلات التي تعاني منها ولما لا التنبؤ بها.

ومن هنا ندعو الباحثين في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية إلى تطوير ادوات البحث التجريبي ووسائل القياس لراقي بالمعرفة التي تتمحور حول الانسان والوصول بها إلى اكبر قدر من اليقين والثبات النسبي.

. قائمة المراجع:

1. ابو سليمان عبد الوهاب ابراهيم (2005)، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة،(ط.9)، الرياض: مكتبة الرشد.
- 2 احمد بدر (د.ت)، اصول البحث العلمي ومناهجه، بغداد: المكتبة الاكاديمية.
- 3 اسماعيل محمد صادق (2014)، البحث العلمي بين المشرق والمغرب كيف نعضوا ولماذا تراجعوا،(ط.1)، القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- 4رجاء وحيد دويدري (2000)، البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العلمية،(ط.1)، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- 5 رحيم يونس كرو العزاو.(2008)، مقدمة في منهج البحث العلمي، (ط.1)،عمان: دار دجلة.
6. ريجي مصطفى عليان (د.ت)، البحث العلمي اسسه، مناهجه، واساليبه واجراءاته،(د.ط.). عمان: بيت الافكار الدولية.
7. عقيل حسين عقيل (1999)، فلسفة مناهج البحث العلمي، (د.ط)، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- 8 محمد عبد الغني عوض، محسن احمد الخضير (1996)، الاسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه،(د.ط)، القاهرة: المكتبة الانجلو مصرية.
9. محمد عبيدات، عقلة مبيضين، محمد أبو نصار (1999)، منهجية البحث العلمي: القواعد، المراحل والتطبيقات، (ط.2)، عمان: دار وائل للنشر و التوزيع.

10. منذر الضامن (2006)، اساسيات البحث العلمي، (ط.1)، عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- 11.Pierre.C.Hohenberg.(2010). What is science, National Academy of science.Récupéré le:15/10/2019, De: Anscie.org,ftp/Anxive/piper1704/1614.
- 12.University of california museum. What is social science research , Récupéré le: 15/10/2015, De: Undsci, Berkeley.edu/lessons.
- 13.What is social research and why would we want to evaluate it. Récupérer le: 15/10/2019, De descplines.usp.brs.mod-folder.
- 14.Bara.J.Harland.(S.D). An introduction to experimental research. Récupérer le: 15/10/2019. De: Cemast illinoisstate.edu/downloads/hsrs/types-of-research.pdf.
- 15.Philip cash,Steve culley.(2005).Scientific Research. Published in Routledge Companion to descign research.
- 16.Bensaad bourassia.(S.D). Introduction aux methodes experimentales , Récupérer le: 15/10/2019. De:
<http://dspace.cuniv-aintemouchent.dz:8080/ispui/bitstream/123456789/45/1/polyMETHEXP-PARTIE%20I%20fini09->
- 17.Courbet didier.(2013). Pour un développement raisonné des méthodes expérimentales en SIC: quelques intérêts épistémologiques du pluralisme méthodologique, Journal for Communication Studies, vol. 6, no. 1(11)
- 18.Jean-Louis loubet del bayl.(2000). Initiation aux méthodes des sciences sociales, Institut d'études politique de toulouse , Récupérer le : 15/10/2019, De :
http://classiques.uqac.ca/contemporains/loubet_del_bayle_jean_louis/initiation_metho_sc_soc/initiation_metho_sc_soc.html.